لسانيات النص النشأة والتطور

1- تحديد موضوع لسانيات النص، أهدافه وواجباته

لسانيات النص فرع معرفي جديد تكون بالتدريج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من السبعينات، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهارا عظيما، وتشهد المراجع المتخصصة الوفيرة شاهدا على الدرجة العالية التي يسهم بها هذا" الوافد الجديد "إسهاما حاسما في تطور اللسانيات بشكل عام.

ويجب الاعتراف بأنه عند المحاولة الأولى، يمكن أن توجد صعوبة في تحديد المجال الذي ينبغي أن يفهم من إطلاق لسانيات النص عليه؛ كثير من الأشياء غير المتجانسة تطرح غالبا تحت شعار" لسانيات النص ."ويبدو أن هذا الحقل العلمي ليس بإمكانه بعد أن يعتمد على تصور نظري موحد أو على أقل تقدير على إطار تصور والقاسم المشترك، في الأرجح، بين هذه الدراسات الوصفية في لسانيات النص ، كما يبدو من الواقع العملي، هو أن الدارسين يعالجون نصوصا.

من هنا كان لزاما أن يفرق بين الإسهامات التي تعنى بالنص "فقط وتلك التي تسعى إلى إبراز الطبيعة" الكلية "للنصوص؛ أي -بالنظر دائما إلى الحاجات الاجتماعية -في تحديد واجبات هذا الحقل العلمي وأهدافه وتمييزه عن توجهات المجالات المعرفية القريبة منه.

وتتضح صعوبة مثل هذه المهمة من حقيقة أنه لم يحدث حتى الآن أن انعقد إجماع على موضوع هذا الفرع المعرفي الجديد أو على مفهوم" النص"؛ لذلك يجب النظر إلى مسألة تحديد السمات الأساسية للنصوص مطلقا، أي تلك الخواص التي تنسب إلى كل نص مستقل سواء الوحدات النصية التي أنتجت في الماضي أو ما يمكن أن ينتج منها في المستقبل في مجالات الحياة الاجتماعية كافة، وكذلك إلى مسألة آليات توظيف النصوص في الاتصال الاجتماعي على أنها مشكلة قائمة حتى الآن.

ويعلم الجميع بالحدس تقريبا ماذا يمكن أن يسمى نصا من اللاتينيةtextus وتعني أصلا "النسيج "أو" الأسياخ المضفرة من الفعل اللاتيني texere ، وانتقل المعنى إلى أنماط من وحدات

اللغة: كالرسالة، الرواية، القصيدة الشعرية، الدراسة علمية وغيرها، مع وجود مشتبهات بالنص بلا حصر مثلا، هل تسمى محادثة الهاتف نصا؟ وماذا عن الأغنية أو الصورة الرمزية أو الإعلان بمكبرات الصوت في محطة القطار؟ هل تعد أيضا إشارات المرور الضوئية بألوانها المختلفة وبما تقدمه من معلومات" نصوصا"؟

وتختلف الآراء كثيرا عند الإجابة عن هذه الأسئلة. ويزداد الاضطراب عندما ينظر إلى استخدام كلمة" النص "في مجالات حيوية وعلمية معينة لا تحتل النصوص فيها سوى أدوار ثانوية جدا: في الرياضيات مثلا، حيث يفصل المرء بين واجبات الأرقام والرموز من جهة وواجبات النص من جهة أخرى، وفي علم اللاهوت، حيث يفرق بين" النص " بوصفه نقطة انطلاق، والإرشادات والشروح المعتمدة عليه - كما في الوعظ، وفي علم الموسيقى ، يوضع" النص "في مقابل الموسيقى ، أي تجدر الإشارة إلى التفريق في مجالات مختلفة بين النصوص من جهة والهوامش / التعليقات من جهة أخرى .

في علم الأدب وعلم النفس وعلم الحقوق وفي التعليم أيضا يتحدث دائما عن" نصوص"، لكن تبقى هذه الوحدات الأساسية العامة دون تحديد عادة. وقد يؤتي بعناصر المفهوم التي يتعلق بعضها ببعض إلى حد ما، وقد يناقض بعضها البعض الآخر في جزئياته، في الإدراك العادي الشديد العمومية والغموض .

من هنا يجب على لسانيات النص أن تزيل، التعارض عند تحديد المفاهيم، وتجلي الغموض باستنباط المعايير التي يتحدد بها ما هو" نص "وما هو" غير نص " بل تحدد بها أيضا الأنواع المختلفة من النصوص. فإذا ألقينا نظرة شاملة من هذا الجانب، على المراجع العديدة المتخصصة في الدراسة اللسانية للنصوص ظهر لنا سريعا أن هذه المسألة الأيديولوجية في لسانيات النص يجاب عنها على نحو مختلف، بأن ثمة تعريفات عديدة للنص اليوم تحدد جوانب معينة من النصوص، لكنها في حالات قليلة فقط يمكن أن تعمم أيضا، وأن تصف هذه الظاهرة المركبة" النص "وتوضحها بوصفها وحدة موظفة في إجراءات الاتصال .

ولما كان عدد لا يكاد يحصى من الدراسات الوصفية للنصوص قد طور على اسس نظرية شديدة الاختلاف، فنحن نرى أن مهمتنا الأساسية في الدرس عن مشكلات لسانيات النص أن نعرف في عرض عام سريع ببعض المداخل المهمة في وصف النصوص، مع وجوب عدم هيمنة الجانب التاريخي العلمي عليها، بل تكون محاولة توجيه في هذا الحقل العلمي الزاحف دائما

زحف قويا. ومن البديهي أن نركز في ذلك على تلك الدراسات الوصفية خاصة التي نعتقد أنها تقدم إسهاما مهما في حل القضايا الأساسية في أبحاث لسانيات النص.

حققت لسانيات النص تطورا هائلا في العشرين سنة الأولى من وجودها، وأفضت إلى إدراك جوهري لبناء النصوص وتماسكها في علاقات ممتدة. لكن ارتبط بذلك أيضا تجاوز الحدود اللسانية الصارمة، وتوسيع رقعة اللسانيات في اتجاهات مختلفة، حتى إن نقاده هذا التخصص يتهمونه بالتطور في اتجاه" علم شامل "لابد أن يفضي حتما إلى" غموض "زائد في مفاهيمه المتخصصة وفي إجراءاته ثم، في تثبيت المصطلح في وحداته ومن ثم كان" إعمال الفكر في لسانيات النص "مجددا، وفي مجال البحث ومهام مثل هذا الفرع المعرفي، فيما نرى، ضرورة ملحة .

يجب أولا أن تطرح الأسئلة عن العلاقة بين لسانيات النص وتلك الإسهامات التي تسمى غالبا" اللسانيات النظاميةأو اللسانيات الجملية ".وكثيرا ما تقارن هذه **الإسهامات الأساسية مستبعدا بعضها بعضا؛ وقد** يدعى أحيانا أن كل علم لساني لابد أن يكون منذ البداية، وفي جوهره،" لسانيات نصية "؛ لأنه -بطريقة غير مباشرة على الأقل -- يعتمد على نصوص .

ويعارض ذلك، بأن توسيع مجال اللسانيات ليشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك مطلقا في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة الفونيمات، و المورفيمات، واللكسيمات، والمركبات الاسمية والجمل -بل على العكس، يجب أن تستمر مثل هذه الدراسات، وتقوى، إذ ينبغي أن يقوم إمكان توظيفها، في أنواع معينة من النصوص وبشروط خاصة، بدور في ذلك .

من ناحية أخرى، لا يمكن أن تعتبر حقيقة أن الوحدات اللغوية الأساسية المعزولة عناصر يحتمل استخدامها في النصوص، حجة في التعامل مع كل الدراسات اللسانية على أنها نتيجة لذلك دراسات للنص؛ إذ إنه لا يقال شيء عن ماهية النص (أو عن النصوص بشكل عام) عندما تدرس الظواهر الجزئية الصرفية أو النحوية أو المعجمية .

من هنا لا يسوغ أن تنقطع العلاقة بين لسانيات النص لسانيات الجمل، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان (بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر .(نحن ننطلق أكثر من ذلك من كون العلاقة تكاملية بين لسانيات النص ولسانيات الجملة، حيث ينظر إلى دراسات لسانيات الجملي على أنها تمهيد ضروري لأبحاث لسانيات النص من جهة، لكنها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز " في لسانيات النص الأكثر شمولا .

بذلك يكون لدى لسانيات النص ميدانه ومساحته الخاصة، ولابد أن تطور الأبحاث الخاصة بتنوعات التركيب والصياغة في كليات النصوص - عبر الوسائل المعروفة في مناهج لسانيات الجملة - للوصول إلى نماذج وصفية خاصة .

وانطلاقا من المطلب القائل إن لسانيات النص علم لا يدرس أبنية النص فقط، بل يدرس أيضا صفات التوظيف الاتصالي للنصوص، لوحظ أحيانا الميل إلى" تجاوز الحدود "باتجاه علم الاتصال، إلى حد التسوية بين لسانيات النص وعلم الاتصال. فلسانيات النص بهذا المفهوم إذن يطمح أيضا إلى دراسة كل ظواهر الاتصال جميعا وشرائطها بوصفها مجالا للبحث .

مثل هذا التوسع يكون مقبولا إذا وسعنا" مفهوم النص "جدا كما هو الامر عند هولدى كالماير" Kallmeyer النص عنده هو مجموع الإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي ." فهذا التعريف للنص يحتوي أيضا على الإشارات الاتصالية غير اللغوية .ويجب تبعا لذلك اعتبار صفارة حارس المحطة - على سبيل المثال - نصا على أساس أنها إشارة إلى أن قطارا معينا مستعد للقيام، وكذلك الصور الرمزية أو ألوان إشارة المرور الضوئية. ويجب في دراسات النص عند وجود مثل هذا الفهم للنص تناول وصف الإشارات اليدوية المصاحبة، وصيغ التعبير بملامح الوجه وكل مظاهر ما يسمى" لغة الجسم أثناء وقائع الاتصال.

ونعتقد أن دراسة شاملة كهذه لأحداث الاتصال في إطار علم الاتصال ضرورية جدا، لكننا نحصر مفهوم النص مع الاعتداد أيضا بالمفهوم الشائع للنص مؤقتا في إنتاج الإشارات الاتصالية اللغوية واستقبالها. أما وصف الأبنية والوظائف التي تؤديها الإشارات الاتصالية غير اللغوية وهي ذات أهمية كبرى لفهم النص في الاتصال المنطوق وكذلك - مما لم يكد يبحث بعد - الربط بين التعابير اللغوية وغير اللغوية، فلا يمكننا في الوقت الحالي أن نقدمه بطريقة منتظمة في درسنا هذا، ونكتفي في تلك الحالات بالإشارة إلى الظواهر غير اللغوية في النوع المذكور، عندما تستبدل بالإشارات اللغوية صيغ تعبيرية من أنساق رموز أخرى، أو عندما تتعارض لغويا مع النص

كما يجب أيضا رسم الحدود الواضحة ليمكن فصل القضايا الخاصة بعلم الاجتماع أو اللسانيات الاجتماعية عن موضوعات لسانيات النص، فالنصوص تأتي دائما في سياقات اجتماعية محددة، وتتطلب عملا جماعيا، ويستخدمها المشاركون في الاتصال لتحقيق أهداف اجتماعية أو شخصية .باختصار: للنصوص" وجود اجتماعي ملموس فهي لا تتراءى في مضامين النص فحسب، بل في استراتيجيات المشاركين أيضا، وعند تشكيل النص وفي صياغته .

ومما لا شك فيه أن الدراسات النصية يجب أن تتناول الشروط الاتصالية التوظيف النصوص، لكن من جهة أخرى لايجوز للسانيات النص أن تستبيح لنفسه hالرغبة في الكشف عن الفصائل والوحدات ذات العلاقة بالسياقات الاجتماعية في أبحاثه الخاصة، لأن التشخيص المناسب لهذه الوحدات الأساسية يتطلب وسائل أخرى غير تلك التي يملكها هذا الفرع اللساني .

ويصح الشيء نفسه في فصل للسانيات النص عن علم النفس أو اللسانيات النفسية .فأبنية النصوص ليست في الواقع إلا نتائج عمليات نفسية مما قد يسمى" لقطات سريعة "لإظهار نتائج الإجراءات الإدراكية على السطح؛ ويؤدي في ذلك دورا مهما كل من أنساق المعرفة لدى شركاء الاتصال، وبعض قدرات الاستيعاب الذهني وتكوين الدوافع والأهداف (بوصفه تنبؤا بالحالات المرغوبة على أساس بعض المواقف التي يتخذها الشركاء إزاء بعض الحالات أو المشاركين في الاتصال، وكذلك مشاعر المشتركين، وكلها تكون عددا من المظاهر النفسية .ومع ذلك فلا يمكن أن تكون مهمة اللسانيات (ولا للسانيات النص الإحاطة تفصيلا بهذه العمليات والأحوال النفسية تنقصها أصلا الشروط المناسبة لتحقيق ذلك؛ لكننا نرى من المناسب والضروري أن تؤخذ بالحسبان مجموعة – مرتبطة بالنصوص- من النتائج في الأبحاث النفسية خاصة أبحاث علم النفس العرفاني وتربط بالمفاهيم المكتشفة في لسانيات النص الخاصة ببناء النص وصياغته .

وهكذا تظهر النتيجة الآتية: لا يمكن أن تفهم لسانيات النص على أنه علم شامل، ولا على أنه أيضا" علم النص "بمفهوم فانديك van Dijk بل يجب على لسانيات النص أن تبقى بحثها محصورا في أبنية النصوص وصياغاتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة .

من هنا يجب أن يظل" النص "هدف البحث في لسانيات النص ونقطة انطلاقها. ومن الجائز حقا تضافر العلوم في معالجة النص اليوم بوصفه شرطا ضروريا لإسهام منهجي واعد، دون مبالغة في تناول جوانب الموضوع. ويكون النص نفسه الأساس المبدأ الأصلي في علم النص، وهي المهمة الأساسية للسانيات النص على الإطلاق .

لقد تحدد بهذا الإطار ما لا يمكن أن تنجزه لسانيات النص ولا تريده .والسؤال الآن هو عما يستطيع هذا العلم إنجازه، وعن قدرته على إيضاحه، وأهميته الاجتماعية في هذا الصدد . فالنصوص كانت ومازالت ذات قيمة اساسية في وجود أي مجتمع بشري، إذ تبنى العلاقات الاجتماعية بشكل خاص بمساعدتها؛ من هنا جاز أن نفهم الاتصال اللغوي ومنه النصوص

بوصفه" حقيقة اجتماعية جوهرية . وتعد القدرة على التعامل المناسب مع اصناف النصوص شرطا في أن كل عضو في المجتمع يستطيع ممارسة النشاط اللغوي -الاتصالي .ولدرجة التمكن المناسبة والمؤثرة من عدد كبير من الوظائف الاتصالية لدى أكبر عدد ممكن من أعضاء المجتمع، تأثيرها في العمليات الاتصالية الموظفة توظيفا صحيحا في هذا المجتمع في كل مجالات الحياة، وبذلك يكون لها تأثيرها أيضا بشكل غير مباشر في مجال العلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع : فبالنصوص تترابط النشاطات الإنسانية ، ويتم الإعداد لأحداث كثيرة وتنفيذها، كما يمكن توجيه السلوك الاجتماعي عند الآخرين إلى أهداف محددة، ويمكن أيضا أن تلهم أعضاء أي مجتمع اتصالي تجارب ومواقف وقيما أخلاقية. بهذه الطريقة يصبح تعميم مفهوم الواقع بمساعدة النصوص ممكنا، وتصبح العمليات الذهنية ملموسة وميسرة وفي متناول الآخرين . بهذا المعنى تصبح النصوص أيضا أداة مهمة لدى البشر لامتلاك الواقع والسيطرة عليه، وهي بذلك تعد أساسا جوهريا للتطور والتكامل البشري في كل مجتمع .

إن دراسات لسانيات النص تستطيع أن تعطي القارئ إدراكا لصفات النص لأن العملية الاتصالية في المجتمع هي المحك صيغ التنظيم في بعض أصناف النصوص، ولتوظيف نصوص معينة في السياق الاجتماعي الملموس .وهذا يفضي بالقراء، دون شك، إلى درجة عليا من التغلغل الواعي المستقل في كيان النص .

وأخيرا نعود مرة أخرى إلى القول إن أن مجمل ما قدم حتى الآن من إسهامات في دراسة لسانيات النص لا يمثل بعد نظرية نصية متكاملة .كثير مما يسمى الآن" لسانيات نصية "لا يكفي فيما يبدو لوضع المعايير التي يجب أن يقوم عليها علم للنص، لأن العنصر الأساسي" النص " وحده أظهر أنه غير كاف لبناء فرع معرفي مستقل، هذا لا يبرر -حسب رأينا -المطالبة بعد بالنكوص عن لسانيات النص والتوجه إلى" اللسانيات الاصلية "

•إرهاصات بتمييز الظواهر النصية في البلاغة وعلم الأسلوب • التحول التداولي والإسهامات الأولية لتأسيس حقل خاص بلسانيات النص • النصوص بوصفها كليات تحول العبارات • إسهامات الوصف النصي ذات التوجه الدلالي - الاتصال والنص. النصوص محصلة للعمليات الذهنية

.تحليل المحادثة يجب أن يكون وصف النماذج محط اهتمام الجزء الخاص بالتقديم، حيث تبحث هذه النماذج- من مواقع نظرية مختلفة -مداخل إلى تحديد السمات الجوهرية في النصوص وإلى توصيف الظواهر الجزئية للنصوص كل منها على حدة .وفي هذا لا مجال طبعا أن نأتي بسرد أو وصف قيمي لكل المؤلفات التي تدرس إشكالية النص، بل ما نرجوه هو أن نعرف بالدراسات الوصفية الأساسية التي كانت على الأقل في وقت ما محددة للاتجاه، وقدمت حوافز جوهرية لاستمرار تطور علم النص .

ويصح في أغلب النماذج المختارة ههنا على كل حال أنها -- وإن تكن في صيغة معدلة - لا تزال اليوم أيضا تعد أساسية (بالمعنى الحقيقي للكلمة) لوصف مشكلات نصية محددة، أو قل إنها على الأقل متضمنة في الدراسات النصية الشاملة المتكاملة. وتتبع الدراسة في جوهرها التطور العلمي التاريخي، لكنها ترى من الضروري

- **الارهاصات**

سجل مفهوم لسانيات النص في العقود الاخيرة نجاحا كبيرا وسريعا في آن في مجال البحث اللساني ، وترجع تسمية لسانيات النص إلى اللساني فاينريش H. weinrich سنة 1967 وللمصطلح إرهاصات في المصطلح الاسباني عند كوزريو E. Coseriu سنة1962 ويطلق هارفج R. Harweg سنة 1974 على هذا الفرع وصف أحدث فرع للسانيات وموضوعه بناء وحدات درجة هرمية في بعد الجوار اللغوي ، الذي يقع فوق درجة الجملة ويقول "بأن لسانيات النص تقدم في مقابل الأشكال الأخرى للسانيات توسعا كبيرا للمجال ، لأن مجال موضوعه قد انتهى وينتهي على أقصى تقدير بالدرجة الهرمية للجملة – وهي حقيقة دعت بعلماء لسانيات النص إلى إطلاق مصطلح " لسانيات الجملة" مؤخرا على أشكال تلك اللسانيات

وتتسم بدايات البحث اللساني النصي بتحول واع وجلي عن وحدة البحث التقليدية أي الجملة وقد مثل البنيويون سواء التصنيفيون أو التحويليون أمثال بلومفيلد وليونز وتشومسكي وغيرهم الرأي القائل إن الجملة هي القائمة بذاتها المستقلة ، ومن ثم فهي أكبر وحدة وصف في النحو بخلاف هيلمسليف الذي ساوى بين النص والكلام أما علماء لسانيات النص فقد انقلبوا على هذا المفهوم المتجذر بقوة في كل أشكال البنيوية ، وقرروا «أن العلامة اللغوية الأساسية هي النص »

وعلى ذلك يرى اللسانيون النصيون أن البشر حينيتواصلون لغويا لا يعملون ذلك في جمل مفردة منعزلة، بل تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة متماسكة، ولا تدرك النصوص في ذلك أساسا بوصفها أفعال تواصل فردية، بل بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة الأفراد أو أبنية منطوقة بين الذوات .

ويدور الأمر بالنسبة للمنطلق المتجاوز للجملة أساسا حول، أنماط التنصيص ووسائله الذي ساد في مرحلة بداية تطور لسانيات النص، ويقابله المنطلق الثاني المتعلق بلسانيات التواصل وهناك منطلق ثالث ينسب إلى أوومن هو المنطلق التنظيمي.

وأهم ما يتميز به البحث النصي عبر التطور السريع الذي شهدته اللسانيات في مواجهتها للظاهرة اللغوية صعوبته وتعدد مفاهيمه وإجراءاته وتعدد مرجعياته التأسيسية ، حتى بات من الصعب تحديد نشأته المدرسية ، وضبط منهجية تحليل النصوص ضمن أطره العامة ، ومما زاد في صعوبة الموقف تعدد الأشكال النصية مما أوقع في مأزق الضبط المعرفي لمصطلح النص الذي يمثل بؤرة الهم المنهجي في هذا الحقل ، كما تميز هذا الحقل على صعيد المرجعية المنهجية بانفتاحه على جملة من المعارف؛ كعلم النفس والاجتماع والسيميائية والأسلوبية والذكاء الاصطناعي ونظرية المعلومات والعلوم اللسانية والأدبية بعامة ، مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ضخامة الإرث المعرفي والاصطلاحي الذي يعتمد في قراءة النصوص وتوصيف بنيتها ووظائفها ، وربما جاز لنا والحال هذه أن ننطلق من مصادرة تقرر كون لسانيات النص ممثلة لعلم الأسس المشتركة بين علوم النص بفضل توافره على سمة التداخل المعرفي الذي هو ملمح مميز لعلوم الألفية الجديدة وليس أدل على هذا التداخل من تعدد المصطلحات الدالة على العلم نفسه ؛ إذ يستخدم هارفج مصلح textology بينما يستخدم دريسلر مصطلح علم دلالة النص ، أما سوينسكي فيشيد بمصلح نحو النص ، وتداولية النص ، ولسانيات النص ، ونظرية النص.

إن الصفة الشمولية التي تبع حقل اللسانيات النصية من حيث تعدد النظريات والإجراءات في الممارسة ، وارتباط ذلك بالاختلافات المدرسية ، مما ينتج ثروة من المصطلحات يغلب عليها ملمح التداخل بسبب تفاعلها أو تداخل مجالات استعمالها ، وهذا ما يحث الدارس على ضرورة تبني مشروع نقدي لساني بعينه ، بخاصة في مستوى القراءة والتأويل ، لقد اتخذت المعرفة اللسانية في جيلها الثاني النص موضوعا للتوصيف والتحليل ، وقد تبدت مناهجها وأهدافها من خلال جهود مدرسية رائدة ابتدأت بالعمل الجاد الذي قدمه زليغ سيباتي هاريس في الخمسينات من القرن الماضي ، ، مما يمكننا من التنويه بجهود أهمها مشروع ج. م. آدام الذي يختزل في مشروعه اللساني النصي جهود المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب بشتى أنواعه وأنماطه ومستجدات حصيلة النشاط السيميائي والنقدي واللساني في فرنسا وتعد اعمله مرجعا أساسا لكثير من الباحثين في مجال علم النص.

يرى روبيرت ديبوغراند أن اللسانيات مطالبة بضرورة متابعة الأنشطة الإنسانية في التخاطب ؛ إذ إن جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهوما مقبولا من لدن الآخر في اتصال مزدوج.

وفي هذا السياق يعد الدارسون اللسانيات النصية حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في اللسانيات الحديثة، وفي هذا الإطار فإن نشأة اللسانيات النصية مدينة للنحو التوليدي الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النص.

- **مراحل تطور لسانيات النص** ومن الممكن التعرف على ثلاث مراحل عامة لتطور هذا الحقل ذات بحدود زمنية غير متمايزة.

ففي المرحلة الأولى التي استمرت حتى آخر الستينات لا نجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية يمثل هذه المرحلة رومان انجاردن سنة 1931 ، و كارل بوهلر سنة 1934، وهيلمسليف لويس سنة 1943 وزليغ هاريس سنة 1952، وبايك سنة 1954، وكوزريو عامي 1955- 1956 ، وأولدال سنة 1957 ، وسلاما كازاكو سنة 1961، وبيتر هارتمان سنة 1964، و هارالد فاينريش سنة 1966 في كتابه الأول و أراء هؤلاء الباحثين في هذه المرحلة لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة ، لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاها معاكسا لا شك فيه ؛ وذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة أدى بطبيعة الحال إلى الانصراف عن دراسة النص الكامل .

أما في المرحلة الثانية حوالي سنة 1968 فقد تلاقت آراء مجموعة من الباحثين حول فكرة لسانيات ما وراء الجملة " مثل هايدولف، بايك ، وكريمز ، وفان ديك ، وهارفج ، وحسن ، وباليك ، وايزنبرج ، وكوخ في مجموعة من الأعمال حيث تركز الانتباه على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من لسانيات الجملة ، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة وكان الاتجاه السائد بالطبع هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية ، أما في وقت متأخر فقد جاءت الإشارة على أي حال إلى أن هذا الاتجاه الفكري لا يمكننا إلا من رؤية جزء فقط من جملة المميزات للنص ، وكانت العقبة الكؤود أن وحدة النص ظلت غامضة ويضاف إلى هذا أنه في سنة 1968 وقع انشقاق بين ممثلي النموذج التحويلي الذي

كان سائدا في ذلك الوقت ، وأصبح من الواضح أنه حتى المسائل المحدودة التي تناولها التفكير ما كان من الممكن أن يحاط بها إحاطة تامة في حدود المناهج السائدة.

استمرت المناظرة بالأفكار العامة للسانيات تشومسكي وكان موضع الخلاف هو استقلال النحو، وما نتج عنه من بنية عميقة غير أن الكثير من المسائل الضرورية الأخرى كالتوسع في الدراسة من الجمل إلى النصوص لم يثره أحد ، وبذا ظل الموقف غير مستقر ، ولم يؤد الوعي المتنامي بعدم كفاية النحو التحويلي إلى شيء سوى المراجعات المستمرة التي حاولت قدر الطاقة ان تحافظ على النظرة القديمة مثل النظرة النموذجية الموسعة وكان الاعتراض واضحا بدرجة لا يمكن التغاضي عنه .

أما المرحلة الثالثة فكانت سنة 1972 وهي مرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات أكثر مما كانت مراجعة للنظريات القديمة وجاءت المؤلفات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة ، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة ، وأعلنت اللسانيات الاجتماعية معارضتها للتجريدات القديمة غير المرتبطة بموقف ما ، وأشارت غل التفاعل الاجتماعي في داخل الجماعة اللغوية، وواجه المشتغلون بالحاسب الآلي مطالب عمليات محاكاة اللغة الإنسانية في الحاسب الآلي هذه المطالب العلمية المتبادلة بين النظريات والنماذج كانت الدافع الأكبر في مجال تطور لسانيات النص ومن الواضح أن هذه العلوم تسعى إلى تحقيق ما هو أكثر من مجرد وصف بنيات الجمل ، فهي تهتم بالعمليات التي بواسطتها يتحقق استعمال اللغة الإنسانية ، والقاعدة العامة للبحث النصي عند اللسانيين في توضيح أوجه الاطراد اللغوية النصية،كالتماسك والتسلسل والعلاقات لمختلفة داخل النص التي تشكل متضافرة البنية النصية التي هي هدف هذا التخصص وكان لزاما على كل بحث لساني نصي أن يتخذ النص إطارا للوصف ، ويبرز هنا الترابط التركيبي للنص وسياق الفهم وينتهي بعضهم إلى تحديد النص على أنه تكوين حتمي ، أجزاؤه راسخة ، أي أنه تحدد أجزاؤه بعضها بعضا .

ويتسم هذا العلم بتشعبه الى حد بعيد ؛ إذ إننا لا نجد إلا قدرا ضئيلا من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوراته ومناهجه. فقد استوعب حدا لا يستهان به من المفاهيم ، نظرا لكثرة منابعه واتساع مشارب الباحثين فيه ، كما أنه قد قصرت أكثر المحاولات التي نهضت لضم

تصوراته في أطر محددة ، عن تقديم عرض متكامل ، يتيح للقارئ الوقوف على نظرة كلية أساسية .

واتجاهات البحث في هذا العلم قد أخذت أشكالا عدة ، وذلك تبعا للأسس التي يستند إليها اللسانيون النصيون فنجد مثلا اتجاها يعتمد على رصيد اللسانيات الوصفية ، ولكن بعد إضافة عدد من المفاهيم والتصورات الجديدة إليه ، حتى يمكن معالجة المستوى الأكبر الذي يمتاز به هذا العلم ، أعني مستوى النص .ونجد اتجاها آخر يستند إلى رصيد اللسانيات الوظيفية ، وثالثا يقوم على رصيد اللسانيات التركيبية أو البنائية ، ورابعا على رصيد اللسانيات التوليدية التحويلية.